

قتل المسعفين في غزة: هكذا دمر صوت من القبر كذبة إسرائيل

الأربعاء 9 أبريل 2025 10:30 م

كانت هذه الكلمات الأخيرة لرفعت رضوان، المسعف الفلسطيني الشاب في غزة، التي نطق بها أثناء نزيهه حتى الموت بجانب سيارة إسعاف واضحة المعالم، محاصرة من الجنود الإسرائيليين تحت السماء الباردة في رفح. خرج مع فريقه لإنقاذ الجرحى، ولم يعد منهم أحد.

فتح الجيش الإسرائيلي النار دون تحذير، قُتِل رضوان و14 من عمال الطوارئ الآخرين. عُثِر على جثثهم في قبر جماعي ضحل، بعضهم كان مكبلًا بالأيدي أو الأرجل، ويبدو أنهم أعدموا عن قرب. كانوا يرتدون زيهم الرسمي، يحملون أجهزة الراديو والقفازات وحقائب الإسعافات.

ورغم ذلك، كذبت إسرائيل. فقد ادعى وزير خارجيتها أن سيارات الإسعاف كانت غير مميزة و"مريبة"، ما يبرر الهجوم الإسرائيلي. لكن لقطات من لحظات رضوان الأخيرة أظهرت أن سيارات الإسعاف كانت مميزة بوضوح، مع أضواء ومعدات طبية مرئية. لم يكن هناك أي تهديد، ولا معركة ضارية، فقط ما يبدو أنه مجزرة متعمدة.

وفي الوقت الذي كانت فيه العالم يحاول استيعاب الفرع في رفح، كان رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو يقف في هنجاريا، يحتفل به أحد الحكومات الأكثر يمينية في أوروبا. أعلن: "هذا مهم لنا جميعاً، لجميع الحضارة، ونحن نواجه هذه المعركة ضد الهمجية... أعتقد أننا نخوض معركة مماثلة من أجل مستقبل حضارتنا المشتركة - حضارتنا اليهودية-المسيحية".

لا شيء يمكن أن يبدد الحقيقة أكثر من هذا

ما تفعله إسرائيل في غزة ليس حربًا - بل هو محو الحياة نفسها. إنه التدمير المنهجي لكل شيء يتنفس أو يحلم. استشهد أكثر من 1000 من العاملين في مجال الصحة والطب منذ أكتوبر 2023، بينهم العشرات من جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني. تم قصف المسعفين وقنصهم أثناء قيامهم بإنقاذ الأرواح.

تم تدمير المستشفيات ومزقت سيارات الإسعاف، وأُعتقل الأطباء وُعذبوا واغتصبوا وأُعدموا. أصبحت الرموز التي كانت مقدسة - مثل سترة الهلال الأحمر، والمعطف الأبيض، والملابس الجراحية - أهدافًا.

من بين هؤلاء المسعفين الذين ذهبوا لإنقاذ الطفلة هند رجاب، التي نجت من هجوم إسرائيلي أودى بحياة عائلتها. كانت وحدها في سيارة، خائفة، اتصلت للمساعدة. تم إرسال فريق إنقاذ، لكنهم لم يعودوا أبدًا. تم العثور على جثتها في سيارة مليئة بالرصاص، وكان المسعفون الذين ذهبوا لإنقاذها قد أعدموا أثناء محاولتهم إنقاذ طفل.

لا توجد خطوط حمراء - لا بالنسبة للأطباء ولا للأطفال، ولا حتى للموتى. يقول المسعفون الفلسطينيون إن زيهم لا يحميهم؛ بل يحدد كهدف. أصبحت الرموز التي كانت مقدسة - مثل سترة الهلال الأحمر، والمعطف الأبيض، والملابس الجراحية - أهدافًا.

حرب إبادة

لا تدمر إسرائيل المنازل والمساجد والمدارس فقط، بل تدمر وسائل البقاء. إذا لم تقتل القنابل، فإن العطش والجوع أو الجروح غير المعالجة سيقتلون. ومن يحاول إنقاذ الآخرين؟ يتم مطاردته.

في غزة، يعتبر الطب تمرّدًا، والرحمة خيانة. أن تشفي هو أن تتحدى الإبادة.

استشهد أكثر من 55 ألف فلسطيني، وُدُمَر أحياء كاملة. نزح أكثر من 1.9 مليون شخص، والعديد منهم تعرضوا للقصف في خيامهم.

منذ أن كسر ما يسمى بالهدنة، وصلت القذائف إلى أعماق جديدة. الطعام قد اختفى، والمحطات المائية صمتت، وتوقفت مخازن غزة. العائلات تشرب من المجاري وتتناول علف الحيوانات. ينزفون من جروح لا يوجد من يعالجها.

هذه حرب إسرائيل من أجل "الحضارة"

يرى جوناثان ويتول، المدير بالإبادة لمكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، أنها "حرب بلا حدود". إسرائيل قد دأست على كل خط من خطوط القانون والأخلاق والإنسانية.

هذه الإبادة ليست حادثًا، ولا هي نتاجًا مؤسسيًا للحرب. إنها سياسة.

عُثِر على ضابط إسرائيلي مؤخرًا وهو يأمر قواته في لواء جولاني بمعاملة أي شخص يرويه في غزة كتهديد، والقتل دون تمييز. لا حاجة للتمييز بين المدنيين والمقاتلين، الأطفال أو البالغين، الأم أو المسعف - فقط القتل.

وفي الوقت نفسه، رفضت المحكمة العليا الإسرائيلية - التي تُمدح عالميًا كمؤسسة ليبرالية - بالإجماع التماسات لرفع الحصار عن غزة لأسباب إنسانية. لم يشكك أي قاضٍ في شرعية تجويع السكان المحاصرين، بما في ذلك الأطفال.

هذه ليست فقط سياسة ننتيا هو ووزرائه الفاشيين، بل هي الجيش والمحاكم والدولة نفسها. كل مؤسسة تتماشى مع آلة الإبادة. هذه هي ما بنته الصهيونية: نظام يُعدم المسعفين، ويُدفن الأطباء في قبور جماعية، ويقتل الأطفال، ويُسمى ذلك حضارة.

لكن ضد تلك الظلمة يقف رفعت رضوان.

في لحظاته الأخيرة، لم يتحدث عن الانتقام. توجه إلى والدته وطلب منها المغفرة. أكد الطريق الذي اختاره - ليس للتدمير، بل للشفاء.

حتى مع نزيغه حتى الموت، كان رضوان شاهدًا. وهو يعلم أنه إذا لم يتحدث، سيموت الحق معه. تحدث لأنه فهم أن إسرائيل ستقتل ثم تكذب. رفض أن يُمحي. وبأنفاسه الأخيرة، قال الحقيقة.

لقد قام رضوان من قبره ليشهد، حتى لا يستطيع العالم أن يغض الطرف.

<https://www.middleeasteye.net/opinion/gaza-medic-killings-how-voice-beyond-grave-destroyed-israels-lie>